

حول الاعتداء على استقلال لبنان

ليس الاعتداء الافرنسي على استقلال لبنان^(١) وحكومته الدستورية بأول اعتداء توقعه فرنسا ببلادنا، بل هو حلقة من سلسلة طويلة تبدأ منذ ربع قرن، ولكن في يد السوريين اليوم ومن واجبهم ان يجعلوه آخر الاعتداءات الافرنسية وخاتمة السلسلة المحزنة المخزية.

منذ سنتين ونصف السنة لدى دخول الحلفاء سوريا، أذاع الجنرال كاترو بالنيابة عن الجنرال دوغول منشورا الى السوريين واللبنانيين قال فيه : (انني قادم اليكم لانتهاء عهد الانتداب ولأعلن حريتكم واستقلالكم وستصبحون من الآن فصاعدا شعباً حراً ذا سيادة). واليوم في لبنان يقوم المندوب الافرنسي بنسف عهد دستوري وطني من أساسه بقرار كيفي، مدعياً الاستناد على صك الانتداب الذي أعلنت فرنسا انتهاءه. ذلك هو منطلق فرنسا: تلغي الانتداب ثم تتذرع به، تعترف باستقلال بلد ثم يقضي مندوبها على مجلس نواب هذا البلد ويزج رئيس جمهوريته ورئيس حكومته

(١) هذا البيان عن الازمة اللبنانية به ناحيتان، ناحية عقائدية وناحية سياسية. الناحية العقائدية هي تجسيد فكرة الوحدة العربية في العمل، اي دفع الشعب الى الاهتمام بقضايا ومصير بقية الاقطار العربية ليعرف ويلمس بالتجربة النضالية وحدة المصير العربي. وهذا يشبه الموقف الذي وقفه الحزب في الاشهر الاولى لتأسيسه من ثورة العراق (١٩٤١)، اذ كان القصد الاساسي من موقفه من ثورة العراق هو ايضا تجسيدا عمليا لايائه بالفكرة العربية. الناحية السياسية، عبر فيها الحزب عن رأيه وتجربته وتجربة الشعب في سوريا في اسلوب المفاوضات مع المستعمر. كان الرجال الذين استلموا قيادة النضال الوطني في سوريا منذ عام ١٩٢٨ متهاكبين على المفاوضات مع الافرنسيين، وكانت السلطة الافرنسية تعرف هذا التهالك عندهم وتستغله لتمويت النضال الشعبي بالمهاطلة والتسويق، وقد حصلت تجربة المفاوضات اكثر من مرة وكانت نتيجتها في كل مرة الخيبة وعودة الاستعمار الى سابق نفوذه بعد ان كاد النضال الشعبي ان يقضي عليه. ولكن أسلوب القيادة الوطنية القديمة كان اسلوبا ضعيفا متناقضا يفضح ضعف كفاءة

ووزراءه الشرعيين في السجون . فهل يجوز للسوريين ان يعلقوا أي أمل على أستقلال كهذا؟ ان سوريا لم تعترف بالانتداب يوما من الايام ، لذلك لا ترى نفسها مرتبطة بعقد معاهدة كيميا تنهيه . وهي لاتعتبر الاستقلال منحة وهبة بل حقا طبيعيا لها . وقد جاء ميثاق الاطلنطي مؤيدا لحقها هذا بصورة عامة ، كما أيدته بصورة خاصة تصريحات سفير بريطانيا في مصر ، والمستر تشرشل ومثلي فرنسا المحاربة والحكومات العربية . فما على سوريا الا ان تمارس استقلالها بكل عزم وجرأة وان تزيل من دستورها ما يعارض هذا الاستقلال دون إضاعة للوقت والجهد في المفاوضات العقيمة . لقد آن للسوريين ان يقنطوا من سياسة المفاوضات ويكتشفوا خدعتها ، ففرنسا تموّه بها منذ خمسة عشر عاما وتنجح في شل الحركة القومية واخماد جذوتها . ومن العبث الادعاء ان تهديم الدور الوطني في لبنان كان نتيجة لجرأة الاسلوب الذي اتبعته حكومته الدستورية ، فإن لفرنسا في هذه البلاد سياسة تقليدية تستوي في نظرها الجرأة واللباقة اذا ما أُخرجت واضطرت الى بحث جوهر الامور ، اي ما يمسّ سيطرة فرنسا السياسية والاقتصادية على سوريا . اما المفاوضات فلا تلجأ اليها الا بغية كسب الوقت لتسديد الضربة في الحين المناسب وتثبيت دعائم استعمارها المزعزع .

ومن التضليل الفاحش ان يفرق ذلك التفريق الصنعي بين السياسة السورية وبين

القيادة وضعف نجردها لانها كانت تمثل المصالح الطبقية وتجنح دوما الى المساومة والتسوية وانصاف الحلول خشية المضي مع الشعب في النضال العنيف الى نهايته . وكانت سوريا في ذلك العام مقبلة على مرحلة من هذا النوع بعد انتخابات وقيام حكم وطني - اي مقبلة على مفاوضات مع الافرنسيين لاستلام ما كان يسمى بالصلاحيات . واذا بأزمة لبنان تستيق أحداث سوريا وتأتي كالنذير فاضحة مرة جديدة سوء نوايا الافرنسيين . فكان على الحزب ان يستغل هذه المناسبة ليعطي للشعب ولرجال السياسة برهانا جديدا حسيا على ضرر اسلوب المفاوضات بالطريقة التي سنها رجال الكتلة الوطنية . وسوف يظهر في البيانات التالية - بين ١٩٤٣ و ١٩٤٥ - تأكيد الحزب على هذه الناحية ومطالبته الدائمة للشعب وللحكومة والمجلس النيابي بان لا يركنوا الى سياسة المفاوضات . وان تمارس الحكومة صلاحيات الدولة المستقلة مستندة الى حق البلاد في ذلك والى دعم الشعب لها .

واخيرا ينبىء هذا البيان عن موقف الحكومة السورية المتخاذل من أزمة لبنان ومن العدوان الفرنسي على حكومة لبنان الوطنية لانها لم تحرك ساكنا في حين احتجت جميع الحكومات العربية والمجالس النيابية أعنف احتجاج . وكل ذلك حرصا منها على حسن العلاقات مع الطرف الافرنسي استعدادا لبدء المفاوضات . ولما تحركت الحكومة السورية تحت الضغط الشعبي اتخذت حركتها شكل وساطة بين فرنسا ولبنان . فهاجمها الحزب من هذه الناحية ووضع وحدة القضية العربية وبصورة خاصة وحدة مصر سوريا ولبنان .

ما يجري الآن في لبنان ، وان يتوهم ان سوريا تستطيع تحقيق استقلالها بثقة واطمئنان بعد ذلك الانذار غير المباشر الذي وجهته اليها السلطة الفرنسية لان فرنسا لم تقصد باعتدائها لبنان وحده ، ولم تقصده بالدرجة الاولى ، ولكنها ارادت من وراء عملها تشييط عزائم السوريين وتهديدهم بما ينتظرهم اذا هم تطلعوا الى الاستقلال الفعلي وتسلم الصلاحيات بشكل جدي .

وبعد فليس مصيرنا ومصير لبنان واحدا فحسب ، بل ان مصيره ليقرر مصير قسم خطير من البلاد العربية ، وقد لخص الوئيمرياض الصلح ذلك بقوله : «نحن لانريده للاستعمار مقرا والبلاد العربية لاتريده للاستعمار اليها محرا» .

من كل ما تقدم يترتب على السوريين واجبات أساسية هي :

- ١ - ان يعتبروا قضية لبنان قضية العرب عامة وقضية سوريا بوجه خاص وان يشتركوا في مناصرتها اشتركا فعليا يفتضيه منهم التضامن القومي ومصصلحة البلاد .
- ٢ - ان يتصلوا بنواب الامة ويؤازروهم في الاهتمام بقضية حيوية كهذه تناولتها بالبحث مجالس الامم البعيدة عنا علاوة على مجلس حكومات الاقطار العربية .
- ٣ - ان يوجهوا بواسطة المجلس النيابي السياسة الحكومية نحو التضامن التام مع لبنان ووضع حد لسياسة التريث والمفاوضة وتمثيل دور الوسيط .
- ٤ - تأييد قرار مجلس النواب العراقي بإجلاء القوات الفرنسية عن سوريا ولبنان .

«امة عربية واحدة ذات رسالة خالدة»

ميشيل عفلق صلاح الدين البيطار

دمشق في ١٤ تشرين الثاني ١٩٤٣